

أسوشيتد برس: «مثل قتال الأشباح».. مهمة مرعبة تنتظر الجيش الإسرائيلي



نشرت وكالة أسوشيتد برس تقريراً نشرته عدة عدة صحف يسلط الضوء على ما وصفته الوكالة بالمهمة المرعبة التي يكابدها الجيش الإسرائيلي والمتمثلة في محاولاته ضرب أنفاق غزة.

تشير الوكالة الأمريكية في مستهل تقريرها إلى أن أحد أكبر التهديدات أمام الجيش الإسرائيلي يبدو أنه مدفون في أعماق الأرض، مع اقتراب هجوم بري إسرائيلي كبير على قطاع غزة.

تمتد متاهة واسعة من الأنفاق التي بنتها حماس عبر الشريط المكتظ بالسكان، وتخفي المقاتلين وترسانتهم الصاروخية وأكثر من 200 رهينة تحتجزهم حماس الآن بعد هجومها غير المسبوق في 7 أكتوبر على إسرائيل، والذي قتل فيه أكثر من 1400 شخص.

تحد كبير

وتقول الوكالة إن تطهير تلك الأنفاق وتدميرها سيكون أمراً بالغ الأهمية إذا سعت إسرائيل إلى تفكيك حماس، كما تعهدت بذلك. لكن القتال في المناطق الحضرية المكتظة بالسكان والتحرك تحت الأرض يمكن أن يجرد الجيش الإسرائيلي من بعض مزاياه التكنولوجية مع إعطاء ميزة لحماس فوق الأرض وتحتها.

ونقلت الوكالة عن جون سبنسر، رائد متقاعد في الجيش الأمريكي ورئيس دراسات الحرب الحضرية في معهد الحرب الحديثة في ويست بوينت، قوله: «عادة ما أقول إن الأمر يشبه السير في الشارع في انتظار لكمة في الوجه».

وأضاف أن المدافعين الحضريين كان لديهم الوقت للتفكير في المكان الذي سيكونون فيه وهناك الملايين من المواقع المخفية التي يمكن أن يكونوا

فيها. يمكنهم اختيار وقت الخروج - لا يمكنك رؤيتهم ولكن يمكنهم رؤيتك.

وقال الجيش الإسرائيلي، ليل الجمعة السبت، إن طائراته الحربية قصفت 150 هدفاً تحت الأرض لحماس في شمال غزة، ووصفها بأنها أنفاق ومساحات قتالية وبنية تحتية أخرى تحت الأرض. وجاءت الضربات - التي بدأها أهم قصف إسرائيلي للأنفاق حتى الآن - في الوقت الذي كثفت فيه عملياتها البرية في غزة.

دروس الماضي

ولفتت الوكالة إلى أن حرب الأنفاق كانت سمة من سمات التاريخ، من الحصار الروماني لمدينة أمبراسيا اليونانية القديمة إلى المقاتلين الأوكرانيين الذين يوقفون القوات الروسية في 24 كيلومتراً من الأنفاق التي تعود إلى الحقبة السوفيتية أسفل أشغال الحديد والصلب في أزوفستال في ماريوبول لنحو 80 يوماً في عام 2022.

وأوضحت الوكالة أن السبب بسيط؛ إذ تعتبر معارك الأنفاق من أصعب المعارك على الجيوش. ويمكن للخصم المصمم في نظام نفق أو كهف اختيار المكان الذي ستبدأ فيه المعركة - وغالباً ما يحدد كيف ستنتهي - نظراً للفرص الوفيرة لنصب الكمين.

هذا صحيح للغاية في قطاع غزة، موطن نظام الأنفاق التابع لحماس الذي أطلقت عليه إسرائيل اسم «المترو».

عندما فرضت إسرائيل ومصر حصاراً عقابياً على غزة بعد سيطرة حماس على المنطقة في عام 2007، سعياً لمنع استيراد الأسلحة، وسعت حماس بناء شبكة أنفاقها لتهريب الأسلحة وغيرها من البضائع المهربة من مصر. وفي حين أغلقت مصر لاحقاً معظم تلك الأنفاق العابرة للحدود، بات لدى حماس الآن شبكة ضخمة تحت الأرض تمتد في جميع أنحاء غزة، وتسمح لها بنقل الأسلحة والإمدادات والمقاتلين بعيداً عن أنظار الطائرات الإسرائيلية المسيرة.

شبكة واسعة

ونوّهت الوكالة إلى أن يحيى السنوار، رئيس حماس في غزة، أشار في عام 2021 أن المجموعة لديها 500 كيلومتر من الأنفاق. ويبلغ مساحة قطاع غزة نفسه حوالي 360 كيلومتراً مربعاً.

يعرف الجيش الإسرائيلي التهديد منذ عام 2001 على الأقل، عندما استخدمت حماس نفقاً لتفجير متفجرات تحت نقطة حدودية إسرائيلية.

وقالت الوكالة إن إسرائيل قصفت من الجو واستخدمت المتفجرات على الأرض لتدمير الأنفاق في الماضي. لكن الإزاحة الكاملة لحماس ستطلب تطهير تلك الأنفاق، حيث يمكن للمقاتلين الظهور وراء تقدم القوات الإسرائيلية.

خلال حرب 2014، قتلت حماس ما لا يقل عن 11 جندياً إسرائيلياً بعد تسللها إلى إسرائيل عبر الأنفاق. وفي حادث آخر، جرت حماس الضابط الإسرائيلي، الملازم هدار غولدين، إلى نفق داخل غزة وقتل. وتحتجز حماس رفات غولدين منذ ذلك الحين.

قتال الأشباح

وبحسب الوكالة، فقد وصف أرييل برنشتاين، الجندي الإسرائيلي السابق الذي قاتل في تلك الحرب، قتال المدن في شمال غزة بأنه مزيج من «الكمان والفخاخ والمخابى والقناصة».

وأشار إلى أن الأنفاق لها تأثير سريالي مريب، مما يخلق نقاط عمياء مع ظهور مسلحين من حماس من العدم للهجوم.

وقال: «كان الأمر كما لو كنت أحارب الأشباح. أنت لا تراهم».

قال وزير الدفاع الإسرائيلي يوآف جالانت يوم الجمعة إنه يتوقع هجوماً برياً صعباً، محذراً من أن تفكيك شبكة أنفاق حماس الواسعة «سيستغرق وقتاً طويلاً». وكجزء من الاستراتيجية، منعت إسرائيل جميع شحنات الوقود إلى غزة منذ اندلاع الحرب. وقال جالانت إن حماس ستصادر الوقود للمولدات

التي تضخ الهواء في شبكة الأنفاق. وقال إنهم سيحتاجون الوقود لضخ الهواء داخل الأنفاق، وللحصول على الوقود، فهم بحاجة لنا.

عادة، اعتمدت الجيوش الحديثة على الضربات الجوية لتدمير الأنفاق. وأسفرت الضربات الإسرائيلية في غزة حتى الآن في هذه الحرب عن مقتل أكثر من 7300 شخص، وفقاً لأرقام وزارة الصحة التي تديرها حماس. لكن تلك الضربات لا يمكن أن تلحق أضراراً كبيرة بشبكة الأنفاق.

وأشارت الوكالة إلى الصعوبات التي واجهتها الولايات المتحدة في التعامل مع الأنفاق في فيتنام والتي حتى قصف بي 52 الضارية لا تدمر الأنفاق. كما لم تفعل الضربات الروسية على مصنع الصلب الأوكراني في عام 2022.

للتأكيد على مدى صعوبة تدمير الأنفاق، استخدمت أمريكا عبوة ناسفة ضخمة ضد نظام أنفاق تنظيم الدولة في أفغانستان في عام 2017 والتي تسمى بـ «أم القنابل»، وهي أكبر سلاح غير نووي يستخدمه الجيش الأمريكي في القتال.

طبقة إضافية من التعقيد

ومع ذلك، في كل هذه الحالات، لم يواجه تقدم الجيوش التحدي الذي تواجهه إسرائيل الآن بنظام أنفاق حماس. وتحتجز الجماعة نحو 230 رهينة أسرتهم في هجوم 7 أكتوبر.

وأكد إطلاق حماس يوم الاثنين سراح يوخفيد ليفشيتز البالغة من العمر 85 عاماً شكوكاً في أن المقاتلين وضعوا الرهائن في الأنفاق. ووصفت ليفشيتز مقاتلي حماس وهم يدفعونها إلى نظام نفق قالت إنه «يشبه شبكة عنكبوت».

من المحتمل أن يكون تطهير الأنفاق بوجود رهائن محاصرين بالداخل «عملية بطيئة ومنهجية»، إذ يعتمد الإسرائيليون على الروبوتات وغيرها من المعلومات الاستخباراتية لرسم خرائط للأنفاق والفخاخ المحتملة، وفقاً لمركز صوفان، وهو مركز أبحاث أمّني في نيويورك.

كتب مركز صوفان في تقرير: «استخدام الرهائن كدروع بشرية سيضيف طبقة إضافية من التعقيد للقتال».

كما أن القتال المحتمل الذي يواجه الجنود الإسرائيليين سيكون خانقاً ومرعباً. وحذرت دافني ريتشموند باراك، الأستاذة في جامعة رايشمان الإسرائيلية التي كتبت كتاباً عن الحرب تحت الأرض، من أن عديداً من المزايا التكنولوجية للجيش الإسرائيلي ستتهرب، مما يمنح حماس الأفضلية.

وقالت ريتشموند باراك للوكالة: «عندما تدخل نفقاً، يكون ضيقاً جداً، وهو مظلم ورطب، وسرعان ما تفقد إحساساً بالمكان والزمان. لديك هذا الخوف من المجهول، من يقترب؟ ... هل سيكون هذا كميناً؟ لا أحد يستطيع أن يأتي وينقذك. يمكنك بالكاد التواصل مع العالم الخارجي، مع وحدتك».

يمكن أن تجبر ساحة المعركة الجيش الإسرائيلي على القتال بالنيران حيث قد يُقتل الرهائن عن طريق الخطأ. وقالت ريتشموند باراك إن الفخاخ المتفجرة قد تنفجر أيضاً وتدفن الجنود والرهائن أحياء.

وقالت إنه حتى مع هذه المخاطر، يجب تدمير الأنفاق حتى تحقق إسرائيل أهدافها العسكرية. هناك مهمة يجب إنجازها وستتم الآن.